

١. شاعر الهوى والشباب

« الاخطل الصغير »

بقلم نعمات احمد فؤاد

منشورات مكتبة الخانجي بمر والمثى ببغداد - ٨٤ ص

في هذه الدراسة التي تتناول ديوان الاخطل الصغير «الهوى والشباب» ثلاثة عناصر تجعلها من اقوى الدراسات التي قرأتها ، وهي تركيز البحث والتجرد واستيفاء الموضوع .

اما المقاييس الادبية فلست ادري بأيا انا اكثر اعجاباً : ابدقة هذه المقاييس المتناهية ، ام بانه الكاتبة وصرها وطول بالها في تطبيق تلك المقاييس تطبيقاً دقيقاً .

نبهت الكاتبة في المقدمة الى ان دراستها هي « دراسة موضوعية بحجة لديوان «الهوى والشباب» ، اي انها لم تتبع فيها الطريقة «الاستقرائية» ، في الاحاطة بحياة الشاعر ، بسبب بعدها عن لبنان ، وبالتالي بعدها عن الشاعر وحياته .

تنقسم الدراسة الى عدة مواضع هي : « شاعر الوصف » و « الطبيعة في شعره » و « شعر الجمال والغزل » و « القصة » و « المجتمع والوطن في شعره » و « اسلوب الشاعر » و «الشاعر في ديوانه » و « الشاعر وناقدوه » و « صور » ، وهذا القسم الاخير منتخبات من شعر الشاعر في المواضيع التي عالجها .

اما الوصف فمن رأي الكاتبة انه تلوين وزخرفة فيها جمال واناقة ، ولكنها لا يتجاوزان السطح الظاهر ، وهي تسوق من الشواهد المعززة بالنقد والتحليل ما يقيم الحجة ويوضح الدليل . واكثر ما اعجبني من ذلك عمق نظراتها في تحليل شعر

الاخطل بوصف الطبيعة وحسن التفاتها الى هذه الناحية . ففي رأيها ، وانا اوافقها على هذا الرأي كل الموافقة ، ان الطبيعة تظل في شعر الاخطل « خرساء » . ومع كل ما يطلقه في دنياها من اناشيد واحاديث تبقى صامته لا تجيبه بنشيد ولا حديث .. اما السبب فهو ان صح استنتاجي من الدراسة ، ان الاخطل يقف عند الحدود السطحية من الطبيعة ، فشعره انعكاس وصدى لوانها واشكال بناؤها الظاهرة ، وما فيها من توشية وتقوية وغنمة . اما معانيها والاجواء الخفية ، وتجاوب هذه المعاني والاجواء مع نفس الشاعر ، فان شعر الاخطل لا يمتد اليها .

حقاً ان الاخطل الصغير يقيد الطبيعة بدل ان يعطيها من ذات نفسه ما يزيد انطلافاً وعمقاً . وطالما وقفت ، وانا اقرأ

النتائج الجديدة

شعره بوصف الطبيعة ، عند نقص احسه ، ولا اجد له تفسيراً ولا عنه تعبيراً ، حتى قرأت هذه الدراسة فاتضح لي كل شيء . وما يرد في هذا المساق من التحليل والنقد المتزن رأياً في اسلوب الشاعر في وصف النساء ، اذ تقول :

« - للشاعر الفاظ يصوغ منها شعره في وصف الجمال النسوي ... هذه الالفاظ بمثابة علبة الوان عند رسام يفتحها كلما شاء التلوين .. »

ثم تمضي في سرد الشواهد المقنعة على ان وصف الشاعر هو في الغالب ، وصف حسي ، حتى لبنت في الحامسة .. (قصيدة ندى) ...

وتخشي الكاتبة ، بعد هذا ، ان يكون الشاعر « بمن لا يرون في الجمال الشرقي الاحاسن جسمية » .

ومن الشواهد التي تسوقها دليلاً على ذلك قصيدة « هند وامها » فهي « رغم ما خلعه عليها من الوان الروض والورد » تظل فيها « هند أو امها لا تريد الواحدة منهما عن دمية تجذب بالالوان والبريق » ..

وعلى هذا الاسلوب الدقيق من التحليل تمضي الكاتبة في دراسة سائر مواضيع الديوان ، حتى تخرج برأي لعله من اطراف الآراء التي قيلت في شعر الاخطل ، وهو تفضيل شعره القصصي على سائر مواضيع الديوان .

وليس هذا فقط ، بل لعلها ايضاً ترى ان الشاعر قصاص قبل كل شيء . وارجو ان لا يتبادر الى الذهن ان هوية « الاستطراف » هي التي اوحى الى الكاتبة بسلوك هذا السبيل . كلا ، بل انها استنتجته من درس دقيق لا يسع القارئ الا ان يوافقها عليه .

ويأتي شعره الوطني والاجتماعي في المرتبة الثانية بعد شعره القصصي ، في رأي الكاتبة . وعلى هذا يكون شعره الوصفي والغزلي في المرتبة الاخيرة . على ان الكاتبة لم تذكر هذا الترتيب صراحة ، بل استنتجته انا استنتاجاً من دراستها .

اما اسلوب الشاعر فقد اجادت كل الاجادة في تحليله وايضاح عناصره .

ويعجبني جداً وصف هذا الأسلوب بـ « الاملس » في قولها : « واسلوبه املس تغلب عليه الفاظ معينة » الخ ...
واما الفصل الذي عقده لتحليل نزعات الشاعر الشخصية والاجتماعية من خلال شعره ، اعني فصل « الشاعر في ديوانه » وهو بمثابة تلخيص عام للدراسة ، فقد كانت الكاتبة فيه مثال المحقق المنقب المنصف في عرض نواحي تلك النزعات عرضاً موضوعياً ، لا تنقصه الدقة ولا صحة الاستنتاج .

ولا يسعني الا ان احمدا للكاتبة هذه الروح التي دفعتها الى تخصيص فصل لموضوع « الشاعر وناقده » ، ردت فيه على بعض المتحاملين على الشاعر لغاية في النفس او لنزعة في الطبع .

لقد تتبعت الكاتبة الشاعر نقداً وتحليلاً ، فلم تحابه ولم تترفق به حيث تجب الصراحة والقسوة ، ولكنها انصفته وقدرت شاعريته حق قدرها ، حيث وجب الانصاف والتقدير . وبهذه الروح العلمية رأت من واجبها ان تنصفه من المتحاملين ، فعقدت هذا الفصل ، وابانت فيه مواضع التناقض والغموض والتعرض التي وقع فيها بعض الذين تعرضوا لنقد الاخطل بغير الميزان الادبي الصحيح .

بقي ان اذكر بعض المآخذ التي خطرت لي على هذه الدراسة .
اولاً : الا ترى الكاتبة ان خيال الاخطل الصغير يعنى في « التجريد » حتى ينقطع عن الواقع ؟ وهناك ، وسط الخيال الجرد ، يستطيع الشاعر ان ينسج من الصور والاشكال والتهاويل الشعرية ما يغري ويبهج ويعجب في حسن التنسيق والتلون والتأليف ، ولكنه مع هذا ، تنقصه « الحرارة » ، حرارة الواقع ...

اضرب علي ذلك مثلاً قصيدة « سلمى الكورانية » . ان فيها من الوان النقاء والصفاء والوضاءة ما لا مزيد عليه ، وفيها من صور التنسيق والتأليف ما يعجز عن مثله فن مهندس عظيم ، وفيها من الحوادث ما يسمو الى مخيلة هوميروس ، ولكنها جميعاً ليست من عالمنا ولا صلة لها بنفوسنا ولا علاقة بطبيعتنا . والخيال مهما غلا ومهما اتسع لا بد من ان يظل مجالاً لانطلاق الواقع ، والا اصبح صوراً هندسية مجردة . وهل يغلو الخيال الى ابعد من اساطير اليونان ؟ ومع هذا ظلت هذه الاساطير صوراً ورموزاً للواقع . ان الخيال ، مهما كان جميلاً ، شيء نافه اذا لم يكن مجالاً لقلب ينبض ، وعين تستجلي ، ونفس تجيش !

ثانياً : الا ترى الكاتبة ايضاً ان الشاعر قد تحطىء يده وهو يتناول احدى ، « غلب التلون » « يأخذ مثلاً لصورة عنقوتة بن شداد علبة « هند وامها » . مثل على ذلك :
قم تقبل ثغر الجهاد وجيده ...

لم يبق الا ان ندعو « الجهاد » بعد تقبيل ثغره وجيده الى جلسة غزلية حول كأس عرق في وادي البردوني .

ثم الا ترى ان الشاعر ، مع صدق عاطفته واصالة انسانيته في وصف الظلم الاجتماعي يظل بعيداً عن تلمس اسباب هذا الظلم في العلاقات الاجتماعية ، وانه يرجعه في الغالب الى غياب مجهول وقوة خفية ؟

ثالثاً : اخذت الكاتبة على الشاعر ما ظنته خطأ نحوياً في قوله :

هوذا الريال ، وقد تألق ، ماحق دجن الهموم وقد اردن محافي
اذ رفع كلمة « ماحق » مع ان موضعها النصب باعتبارها حالاً من الضمير المستتر في « تألق » .

ولست ادري لماذا تصر الكاتبة على اعتبارها جالاً ، مع انه لا شيء يمنع من اعتبارها خبراً لـ « هو » وهو الاصح للمعنى .
رابعاً : وقعت الكاتبة في خطأ يقع فيه جميع كتابنا المحدثين تقريباً بصورة عفوية . وهو استعمال « كاف التشبيه » في غير محلها ، كمثل قولها : في الصفحة ٤٧ : « الا تروكك منه ، كلبنا في هذه النسبة ؟ » الخ ...

ان كلمة « كلبنا في » لا تعني ان الاخطل الصغير لبناني ، بل تعني انه « يشبه لبنانياً » لان هذه « الكاف » لا معنى لها الا التشبيه ، وليس هذا ما تعنيه الكاتبة طبعاً .

وهو تعبير معرب حرفياً عن كلمة comme الفرنسية . وسبب شيوعه ان اكثر الترجمات عن الفرنسية الى العربية كانت تجري على يد اناس لا يتقنون العربية ، ولذلك اخذوه عن الفرنسية حرفياً ، وعليه نشأ الكتاب المحدثون الا قليلاً منهم .

ومثل هذا التعبير يرد كثيراً في سياق الدراسة . وصوابه ان يقال : « الا تروكك منه ، وهو اللباني الخ .. » او « من حيث انه لبناني » .

وقعت الكاتبة في خطأ آخر هو استعمالها « لا زال » بمعنى « ما زال » ، والاولى تفيد الدعاء بدوام حالة ما ، اما الثانية فتفيد الاخبار عن دوام حالة ما . قالت في الصفحة ٤٢ :
« ... اني لازلت احداثك عن الشاعر بشارة الحوري الخ ... الخ » وهي تريد ان تقول « ما زلت » .

٢. ضحكات القدر

من فاروق الى الثورة

بقلم حبيب الزحلاوي

مطبعة دار الهنا بيولاقي مصر - ١٨٤٢ص

طلعت مقدمة هذه القصة المصرية فاغررتني اغراء شديداً بقراءتها، اذ وجدت الكاتب اديباً واعياً في نظرته الى الادب والمجتمع . اسمع هذا المقطع الجميل :

« وازعم ان القصة تناجز الشعر وتساوله بسلاح من ادب الشعر القائم على اللفظة الجميلة ، والفتنة البارعة ، والصورة الاخاذة ولعلها انتصرت عليه لانها تحاطب القلوب من وحي شعورها ، والعقول من فيض حكمها ، وتهمس في اعماق النفس الانسانية همسات روح الانسان وتحاول بشتى وسائل الاغراء والتشويق ان تجتذب القارئ من أي طبقة ومن أي ثقافة .

» كذلك اعتقد ان اولى واجبات الكاتب القصصي استلفات نظر الغافلين الى طبيبات الحياة ، واسترعاء انتباه الذاهلين الى مفاتنها ، وايقاظ وعيهم ليدر كوا عجائبها وغرائبها .

ثم مضيت اقرأ مطلع القصة فزادني اغراء بالقراءة ما وجدته فيه من صدق في النظر ووضوح في العرض ، وهو يتحدث عن « الصداقة » حديثاً بليغاً واقعياً . ونصيحتي الى كل خائب في الصداقة ان يقرأ هذا الحديث ، فهون عليه خيبته وتطمئن نفسه ...

أما موضوع القصة فهو ان احد اساتذة الجامعات تضيق نفسه بحياة بوهيمية ما زال يحياها بعيداً عن الاستقرار العائلي ، ويبدأ ينظر الى انها كه في قضاء ملذاته ومصالحه الخاصة ، غير مبال بما يزرع تحته ابناء وطنه من ظلم وطغيان نظرة الندم والاحتقار ثم يكون من طلائع هذا الانقلاب ان يقرر الزواج من فتاة فلاحه من بنات الريف توخياً لبناء المنزل الزوجي على اساس من الطهارة والحشمة والأخلاص ، بعيداً عن الفساد الذي يقوض الحياة الزوجية في المدينة .

ولكن زوجه لا تلبث ان تصارحه ، بعيد الزواج ، بانها كانت مخطوبة قبله لشاب ريفي قتل قبل ان يتم الزواج ، ويتبين من حديثها انها كانت مغرمة بذلك الشاب وانها حزنتموتة ، فيتنصع عيشه وتركبه الوسوس والاهوام ، الى ان ينقذه احد اصدقائه بان يبين له خطاه ، وان لا شيء يمس كرامته ورجولته من موضوع خطبة زوجه الاولى ، وان مصارحتها له بالحقيقة هي دليل الحب والاخلاص .

أعجبني في الكاتب حرصه على العنصر التوجيهي ، فهو في الواقع محور القصة . لكن حبذا لو انه لم يخرج بعض الاحيان او بالاحرى ، اكثر الاحيان ، عن اسلوب القصة الى اسلوب المقالة ، وهو يقصد الى هذا التوجيه .

لقد اثبت الكاتب انه قصاص بارع ، اذ ابدع واجاد في سرد قصة خطيب « صفاء » الاول ، واعطى القارئ صورة حية لناحية من المجتمع المصري مستوفية عنصر التوجيه ، دون ان يخرج ، مع هذا ، عن اسلوب القصة الى اسلوب الوعظ والمقالة ، فما باله لا يلبث ان يجعل من والد « صفاء » واعظاً يرقى المنبر خطيباً ، ويصيح : « ايها الناس ! .. » !?

اما اسلوب الكاتب ، فلعلي قد قلت رأيي فيه ، ضمناً ، انه قدير ، حين يريد ، على نسج الصورة للحوادث وللشخصيات نابضة بالحياة . ولكنه لا يريد ذلك دائماً .

فشخصيات « صفاء » مثلاً ووالدها وزوجها الثاني ضئيلة المعالم متداخلة الخطوط ، مع انها ابرز شخصيات القصة . انك تسمعها تتكلم بوضوح وعمق ، ولكنك لا تحسها ولا تراها تتحرك وتحيا وتضطرب في هذه الحياة . وكذلك حوادث القصة ، تسمعها سماعاً باذنك ؛ ولكنك لا تراها بعينيك .

وأستثني من ذلك شخصية خطيب « صفاء » الاول وحوادث اجتماعه بوالده العمدة وتعرفه عليه ؛ وقد اصبح شاباً . مفتول الساعد . ان الكاتب بلغ في وصف ذلك كله الذروة . والغريب ان شخصية « صفاء » تبدو واضحة جلية المعالم وهي مع خطيبها الاول ؛ ولكنها لا تلبث ان تنطمس وتضول معالمها وهي مع الثاني ؛ في حياتها الجديدة .

ثم ان سياق القصة كان يقتضي ؛ بصورة طبيعية ، الاستطراد الى وصف حياة الريف المصري ، وما يعاناه من بؤس وشقاء وكان بطل القصة ، استاذ الجامعة ؛ جديراً بتعليق ، ولو عابر على هذه الحياة ، خصوصاً انه لا ينقطع عن التعليق والملاحظة على كل كبيرة وصغيرة . فهو مثلاً لا يغفل عن وصف الطبيعة ومفاتنها في « اسوان » بأسهاب وحماسة ، وباسلوب ليس فيه جديد ، فما باله يغفل عن ملاحظة الشقاء والبؤس في « قحافة » والتعليق ولو بكلمة واحدة عليهما ، وهو الذي يحاول قلب حياته رأساً على عقب تبرماً بهذه الاحوال ونقمة عليها !?

وحين سافر بطل القصة وعروسه الى مصايف لبنان لقضاء شهر العسل كيف ظلا يجهلان حدوث الانقلاب المصري وخلع فاروق ، حتى وردتها رسالة بالنبا من والد صفاء !?

ألم يَسْمَعِ الراديو؟ ألم يقرأ الضحف؟ وكيف عرف جميع العالم بالنبأ في حينه وساعته وظل هذان المصريان وحدهما يجعلان الحادث؟!

ثم هل يرى الكاتب أن من بناء القصة بناءً طبيعياً أن تسرد «صفا» على عريستها قصة خطبتها الأولى بهذا الأسلوب المتقطع يوماً بعد يوم؛ على طريقة أقاصيص «شهر زاد»؟
أنا لأعتقد ذلك؛ وكنت أفضل لو أنها سردت قصتها بغير هذه الصورة المتكلفة التي تبعد الموضوع عن طبيعة الواقع.
وملاحظة أخرى هي بعض أخطاء لغوية وقع فيها الكاتب منها استعماله كلمة «تذمر» بالزاي؛ هكذا: «تمر» وأستبعد أن يكون ذلك خطأ مطبعياً؛ لأنها وردت أكثر من مرة بهذا الشكل.

وبعد فأراني كلما استطردت في البحث؛ لا أستطيع الانفصال عن الطابع العام الذي يطبع القصة؛ وما فيه من لمعات توجيهية بليغة. انقل إلى القارئ هذا المقطع البليغ؛ وارجو أن يعتبر به كل طالب للحرية؛ مناضل للظلم والطغيان:
«ان صرير قلم واحد في مناصرة الحرية الاجتماعية والدفاع عنها خير من عشرات القصائد ينظمها الشعراء في التغني بالحرية.
«إن صوتاً واحداً يرتفع منادياً بسقوط الطاغية خير من اصوات آلاف من الناس تنادي بحياة البطل الظافر».

«ان احترام البطل واجب. والأكثر وجوباً من احترام البطل ان لا نشيع الغرور في نفسه بالتهليل له والمناداة بحياته. لأن الغرور هو الكفن الذي تدرج فيه وثبة البطل».

صا دق صعب

ماض من العمر

مجموعة شعر: محمد عبد الغني حسن

منشورات: مكتبة الخانجي بصر ومكتبة المثنى ببغداد - ١٥٨ ص
أعترف بأنه تملكني، حين أمسكت بهذا الديوان، شعورٌ آسر، ورهبةٌ مستهوية كمثل ما يملكنا عادةً أمام كل أثرٍ فنيٍّ، يتوجه خالدٌ من الخالدين. ولم لا، والناظم صاحب لقب، كشوقي وحافظ ومطران وغيرهم، وبينه وبين الأهرام رحمةٌ ماتت.

قلبت الصفحة الأولى والثانية. فأطلت عليَّ «من جداء الاحرار بشالها المرّس الشائق كأنه يزينا في أعين الأعراس (ما ألدت نغما الحداة الأحرار وهي تنصب في آذان القافلة العربية، لتعود بها إلى أجداد العروبة وعزة الإسلام) فاذا بها

شوها المطلع، خالية من الطرافة في التفكير والخيال والتعبير: (من هؤلاء الصامتون؟ تكلموا! من هؤلاء المجمعون؟ تقدموا! إلى آخر ما هنالك من التشابيه التي لا ترعش وترأ ولا تهز حساً. كادت تمكن مني الفتور لولا بقية من رغبة، وقدر من رغبة، أشاعتها في أهرام مصر المستزرية بالزمن، المشتربة ساخرة بالفناء وحكم القيدم.

تعدت هذا الحذاء الممل، إلى «عبيد الشهوات». فخذلت عن حدسي، وخيبت ظني، بصورها البسيطة - وأحياناً العتيقة - وجوارها المفكك ونثرها المحشور الذي يدعم زعمي.

- لا تضع العمر في فتاة (نافرة الجبل والنعنان) أو - النهر والبحر المزجر، والدجى والصبح ملكي والكواكب والقمير وما أسبه ذلك.

فقلت: ربما لم يوفتق الاستاذ في هاتين. فلنتجاوز عنها. وتوميء لي «طريق الجهاد»، فأعرج عليها. ولا البث حتى أنعرج عنها وزادي يسير:

كان الأله بها صناعة ناحت ووليد أنفلة، وطعمة آكل وتعلقت بي «القلة الغالية»، فأزجرها غير آسف. فتواقع وتصرّ على أن أتأمل حكمتها المبتذلة كأكثر حكم هذا الديوان:

من كان ناصره الأله فانه هيات يخذل من بني الانسان إبي والله، قول حق. أما ان تأتي بالقول الحق وكفى فذلك بما يتنكر له الشعر في جميع نزعاته.

ان القول بمجد ذاته، إما في حال وقوع انفعالي ينتظر من يسبكه فيحسن السبك، أو في حال امكان افتعالي ينتظر من يقنصه فيحسن القنص. ونحن اذا ما حاولنا التخريج والتحديد نرى ان الاستاذ حسن ينتسب، إلى القول الاول. سوى أنه - وهذا ما ينقص شعره - يسبك فلا يحسن، مع انتفاء الثاني تماماً.

تحديد مجبهك منذ القصيدة الأولى. فتحاول تنحيته، فعل من يحلم بكنز مخبوء في مكان معين. فهو كلما اسلمته بؤرة إلى الحبية الفارغة احس بالرويا تولد في بؤرة اخرى. إلى أن يخلّف وراءه أخيراً عدداً من البؤر، فيودعها حلمه ويمضي. وانا إذ أطلق هذا الحكم. أقرّ - وذلك بالنسبة لمحتوى

الالوان .. بأنه لو لم تحز بعض القصائد كـ «طالع عام» و «شهداء الحرية» و «أنت الحياة» و «عربة الرياح» و «أنة» و «جابر العثرات» و «ولدي» على بصيص المع

شعرية لم تخل هي ايضاً من الشحوب - وأظنها احدى فلتاته
حسب تعبير السحرتي - وبانه لولا بعض أبيات
معدودات مثل :

الورد لا يجيا بظلمة حفرة - كيف الحياة على يد الحفار
و - نزر الكلام فان نطقت فانما شفتاك بينها الكلام نظام
و - تكاد تهمس بالكلام كأنما عقد الحياء لسانك المتساجيا
لولا ذلك - لكان حكيمي قاطعاً لا ينظر في الاسباب
التخفيفية ، إن جاز لي هذا الاستعمال المحتر .

من القرائح ما تلتقم ، بمجرد احتكاكها المباشر أو غير
المباشر بأدب اجنبي ، ومنها ما تعقم على رغم وسطها ومعطياتها .
من تلك القرائح ، قريحة « ماض من العمر » التي بدت
وكأنها لا تمت الى ثقافتها أو الى انتقالية الفن الأدائية المتدرجة
من مزحلة الى مرحلة تدرجاً وضعياً حياتياً مجال من الاحوال :
أقد تغرب الشاعر جسداً وعقلاً . أما شعره فظل ابن
التقليد قلباً وقالباً . تقرأه فلا تستروح جدّة ، ولا يجتذبك
خلق ، وقلما يدهشك حسُّ صوريِّ لمّاح ، أو يسكرك
نبض إيجائي رفاف . هئاتُ تحكمت بأغلب القصائد ففضت
تغمز في مشيتها مشحونة بكومة من الصور الباهتة ، وشملة من
التعابير الجاهزة ، ورزمة من الابيات النثرية ، كادت تثقل
كاهل البعض فنشله :

صبراً إذا مشت الرياح بركبكم وأناخ كلكله الزمان عليكم
- الكأس بين يديه طافحة الردى . ويقول : هات من المنية هات
- ويشيع الركب المودع بعضه بعضاً ويمضي في الطريق العسادي
- كم هدمت من صروح الظلم في أمم نعم ، وكم رفعت للمدل أركاننا
- جيرانكم في مصر قد فزعوا لها فالنار لا تحشى من الجيران
هذه نموذجات قليلات تبصرك الكثيوات . فالشيوخة
الزمنة في (أناخ كلكله) والكلام المرصوف في (ويقول :
هات من المنية هات) وفي هذه ال (حتى يكونوا في الحياة
رجالا) وفي (ويشيع الركب المودع بعضه بعضاً الخ ...) .
والسدادة الوزنية « نعم » في (كم هدمت) . والصياغة
الحشبية الصدى في (فالنار لا تحشى من الجيران) . كل هذه
الخصائص تعرضها عليك بتفاوت في الكمية مجموعة « ماض
من العمر » .

وإذا كنت تطلب المزيد فاليك نموذجاً آخر :

يروع القريرة في عشا ويملاً بالهم عش القرير
ويرمي الأميرة في قومها ولا يرعوي حين يرمي الأمير
ذكرني هذا بسخافة أحدهم حين قال :
سادتي رفوا قلبي موجع موجع قلبي فرقوا سادتي
مهجتي ذابت غراماً فيكم فيكم ذابت غراماً مهجتي
ومن اللواتي تصادفن بكثرة فترغب عنهن ، أخصك

بحضرة الأخت الكبرى « إن » التي أتت مقلقة في مواضع
وأشبه ما تكون بسدادة وزنية . مثل ذلك :

انا حر ... لكن لي رغبات إنها تأسر النفوس رجاء
وقد تقع أيضاً على اجترار للمعنى الفرد ، لا يزيد في غنى
الفكرة ولا حتى في غنى الشكل . وعلى قبضة تحيات وسلام
موزعة على الأحياء والأموات ، في أبيات مسؤومة من
الطراز الأول :

هل أفر القلب من هوانا هل آذن الحب بالرجل
هل زهرة الحب من هوانا هل آذنت بعد بالذبول
هل نجمن في الغرام أمسى يا بهجة القلب في أفول
هل أفر القلب واستحات بشاشة القلب للمويل
هل سقم الحب واستحات ملاوة الحب للتحوّل
ومن الطراز الثاني :

مضى عام عليك وجاء عام عليك من المحين السلام
ذهب السلام وأدبرت أيامه فملى جهادك للسلام سلام
بأيها الشيخ الوقور تحية عليك في دار السلام سلام
بأيها الثقة الأمين تحية تجتاز نحوك بالعراق بقاعا
بأيها الوطن العزيز تحية تطوي اليك السهل والأدغالا

كما أنك قد لا تستلمح - من الناحية الأيقاعية - تجوزة
في الجمع - عروضاً - في الخفيف بين فاعلاتن المشعثة والمنقولة
الى مفعولن وبين فاعلاتن التامة . كما هي الحال في الضرب .
وتجوزة في الجمع - عروضاً ايضاً - في الرمل ، بين فاعلاتن
وفاعلن كما هي الحال مع فاعلن في المتقارب . وذلك في
قصيدته «مولد ربيع في انكثرة » و « مات على شفتيه
النغم » . حيث جاء بهذين البيتين :

ذكرتني بك الساء الوهبي والرعود التي يجوك تزعق (ص ٧٣)
ما عهدناه على المنبر إلا ماضياً كالسيف نصلاً وسنانا (ص ١٢٨)
إذ من المأثور والمستحسن معاً أن تلتزم في الرمل
- عروضاً - فاعلاتن دون فاعلن أو فاعلن دون فاعلاتن .
وأن تلتزم في الخفيف فاعلاتن (العروض) مع جواز الجمع
بينها وبين مفعولن ضرباً . إلا إذا جيء بالبيت مصرعاً ،
فيؤتى بالصدر والعجز متساويين . كما فعل الناظم في قصيدته
« اديب العروبة » في هذا البيت :

من تفته المنون في بأساء لم تفته المنون في النماء (ص ١٤٤ س ٦)
لم أقصد بهذا الشرح أن ألقى درساً عروضياً على القارىء
قد يكون بغنى عنه . ولكنني أردت أن أكون واضحاً في
مأخذي هذا الذي جرّني اليه حفاظ الشاعر على قواعد الخليل
لا تعصي لها . فصار لزاماً علينا أن نحاسبه على كل خروج على
السياق العروضي الخليلي .

جسر حميستي

قصة بجمال الأنسة آنجال عبتر

عزيزتي عاطفة .

سأخطب الى منير . وقد قبلت مقداً . وقريباً تقرئين النبأ فاسألك الا تتمعي ولا تدهشي ولا ترثي لحالي . انني وحدي المسؤولة عن عملي هذا ، وانا اقوم به مفتوحة العينين . انا اعلم خطورة خطوتي هذه ومع ذلك فانا اقدم عليها مطمئنة مها كانت النتائج وإلا ... فاتني القطار وبقيت في وحدتي على رصيف المحطة بين صف طويل من العوانس ... اذكركين كم كنا نسخر من استاذة التاريخ ومن عنوسها ذلك ؟

أنا اخاف ان القى هذا المصير . ليست الوحدة هي التي اخشاها ، فانا اقدر ان احيا ، بنفسي ، سعيدة راضية البال ، ولكنني اخشى ان يسخر الناس مني كما سخرنا من استاذة التاريخ في الماضي ؛ اخاف نظرتهم المتسائلة عن سبب تخلفي عنهم . ولذا قبلت بمنير .

ماذا اقول عنه ؟ انه طيب القلب . انه وسيم نوعاً ! لا ... لن اصفه لك فانت تعرفينه وتعلمين ان الكثيرات يطعنن الى اجل اسمه الارستقراطي والتمتع برصيده المحترم في مختلف مصارف البلد وراحة رؤوسهن على كتفه الرياضية العريضة . ولكن ... انا ؟

نعم يا عزيزتي انا . انا ايضا اصبحت من هؤلاء الفتيات قبلت به مقداً . ولم لا ؟ وجم تراني اختلف عنهن ؟ بالكبرياء وبعض المثالية ؟ بالاحلام ؟ ألسنت امرأة ، عفواً ، فتاة في عالم الرجل الذي نعيش فيه ؟ فكيف أشد عنهن ؟ وماذا انتظر أكثر من هذا ؟

صحيح انه كان علي ان ابقى في بيتي بانتظار الرجل الذي خلقت له وخلق لي ... لقد جلست في بيتي . واتاني الرجال ، وما كان ابعدم عن رجلي ، فرفضت ورفضت . ليس من حقي إلا الرفض . ولقد قيل اني من السعيدات ، فهناك من لا يملك حق قول لا . ولكنني بدأت أسأم الرفض . لم تمد القضية مسلية كما كانت في البدء . لقد انتهت المهزلة وبدأ فصل المأساة في حياتي . وهو ... رجلي ... الذي حملت به ... الرجل الذي احببت من اعماق ... لم يظهر في افق حياتي . ولم املك حق البحث عنه خارج محيط اهلي .

ومن يدري أن الحليل ما كان ليستحسن هذا العيب لو سمعه . كشأنه مع بعض العيوب اذا قلت ؟ وإن سألت كيف يُستحسن وهو عيب ؟ أحلتك على إسحاق القائل : قد يكون مثل هذا الحول واللثع في الجارية يشتهي القليل منه فان أكثر هجن وسمج ، والوضوح في الحليل يشتهي ويستظرف خفيفة العروة والتجميل ، فاذا فشا وكثر كان هجنة ووهنا .

غير أن ما سوف يلعبه الحليل طرْحاً ، ويرذله مسخاً ، هو ذلك البيت المكسور الوارد في قصيدة (بين الصبر والبأس) :

يندفع الموج في تلاطمه ويتلاشى وهو أوْشال
ومن له اذنان موسيقيتان أو معرفة بالعروض فليزن .
أما قوله :

ثم لنفترض انه ظهر في الافق واقرب مني ، فهو سيكون لاهياً عني حتماً . لاهياً بتوطيد مركزه ، بتأمين مستقبله ، بفتاة غيري او باي مئمة اخرى تستغرق كل انتباهه ... لم يحدث هذا لغيري من النساء ؟ وماذا فعلن ؟ هل طلبن منه مشاركته حياتهن ؟ اعرضن عليه الزواج ؟ هل ايقظن فيه الحب نحوهن ؟ طبعاً لا ... عيب ... بقين على صمتهن وقبلن اول رجل طيب القلب طلب الزواج منهن .

لا ... ليس لنا نحن النساء حق الاختيار . علينا بالـ «نعم» او بالـ «لا» نقولها لمن تنازل وطلب منا الحياة معه ... وقد تعبت من قول لا ... خفت ان ابقى بانتظار رجلي الذي ربما اتى الي وربما بقي بعيداً . خفت من الانتظار القلق غير الواثق من النهاية التي اتاكدمن انه سيأتي ، من أنه سيدخل حياتي ! ولكن ... من هو هذا الذي انتظره ؟ وهل يأتي ؟ وهل يراني ؟ ... لقد ملك الانتظار ونظرات من حولي كلها علامات استفهام لبقائي كما خلقت حتى الان ...

أنتدريين ؟ كما ذهبت الى حفل ما ، كما حضرت اجتماعاً عاماً شعرت بالكره لنفسي ، احسست بالاحقار لانوثي ، لاني ادخل الحفل من غير ذراع رجل اليفة تقيني النظرات المتسائلة المشفقة . وفي هذه الحفلات ، وفي هذه الاجتماعات اقرب الرجل - اي رجل - مني وجلس الي فتفحصني من شعري المصفف حتى ما يكور اظافر قدمي ، لم يبق امامه إلا ان يقول لي : « قفي بربك قليلاً ، استديري حول نفسك ، ارفعي يدك اليمنى الى رأسك ، اسبلي جفنيك باغراء ، ابسمي ، اعبسي ... هه ، آه ... لا بأس ... سافكر بالامر ... على كل سأرى ما سيكون ... » حتى هذا قام به وهو يطلب مراقتي . وحدثني عن الطقس والرقص والسياسة احياناً ، وفرض علي الامتحان الفكري الذي يريد به هو ، ثم ابسم وهو يعتمد وكأنه يقول : « شكراً يا انسة . سأرى بضاعة الخيران قليلاً ... سأفكر بالامر . لدي متسع من الوقت ... سنرى ما سيكون . »

لا ... لا ... لقد تعبت من كل هذا ... لقد ... حتى سائق السرفيس وخدام البقال الذي يجلب لنا الخضار ينظران الي نظرة تحسر وشفقة على شبابي الضائع ... نظرة حيرة من امر بقائي في بيت ابي حتى اليوم .

وانا ؟ انا ايضاً رأيت نظرتي في المرآة ترثي شبابي المهذور . واتي منير ... لم احلم به كرجلي ، ولكن ... قلت لك من هو رجلي ؟ آه لو عرفته ! وهل يأتي ؟

وما طلب المكاة بالتمني فذلك مطلب ناء بعيد من قصيدة « الى الجبل الأشم » فهو تشويه لقول شوقي :
وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وبعد ما كنت لأترب عليه فأتمادي . لو أنه قلد فأجاد ، وغنى فأطرب ، نظير غيره من المقلدين . أقول هذا ، لئلا يُظن بي التأثر الجامع بذهب من الشعر ، وبمقياس خاص لا يحسب الفن في ما عداه . وإن كنت في الواقع لا أخلو من هذه الظنّة . إلاّ أني لست من الذين يتظاهرون بالعمى أمام الجمال في أي شكل بدا .

واخيراً ، أهذا « ماضٍ من العمر » ، ام هو ماضٍ من الشعر ؟ ...

هنري صعب اخوري